الجِلْف منهم كَزَّ الألفاظ ، مُعقَّد الكلام ، وعر الخطاب ، حتى إنك ربَّما وجدت ألفاظه في صوته ونَغْمَته ، وفي جَرْسه ولهجته .» [١]

ويمد الرجل المصطَلَحين إلى البعد المكاني ؛ لأن من شأن البداوة أن تحدثَ مثل هذه الأمور في اختيار الألفاظ ؛ ولهذا قال النبي ﷺ « من بدا جفا .» ولذلك نجد شعر عَديّ – وهو جاهلي – أسلس من شعر الفرزدق ورَجَز رُؤْبَة وهما آهلان ؛ لملازمة عدي الحاضرة وإيطانه الريف ، وبعده عن جلافة البدو وجفاء الأعراب . [٢] ثم يربط بين الرقة والموضوع الذي يتناوله الشاعر ، حيث تكون « رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قِبَل العاشق المتيَّم ، والغزِل المتهالك ، فإن اتفقت لك الدماثة والصَّبابة ، وانضاف الطَّبع إلى الغزل ، فقد جمعت لك الرقة من أطرافها .» [٣]

ويبدو أن ربط (الرقة والجزالة) بالإطار الدلالي الموسَّع للقصيدة كان هو الرأي المرجَّح عند ابن الأثير ؛ حيث ربط الجزل باختيار اللفظة في وصف مواقف الحروب ، وفي قوارع التهديد والتخويف ، وأشباه ذلك . أما الرقيق فهو المستعمَل في وصف الأشواق ، وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودّات ، وملايَنات الاستعطاف ، وأشباه ذلك [٤].

وعندما يتجه ابن الأثير إلى التحديد والتدقيق ينفي أن يكونَ المقصود بالجزالة أن يكون اللفظ « وحشيا متوعِّرًا ، عليه عُنْجُهِيَّة البداوة ، بل أعني بالجزل أن يكون متينًا على عذوبته في الفم ، ولذاذته في السمع .» [٥]

---

(١) القاضي الجرجاني : الوساطة ، ص ١٧ ، ١٨ . (٢) المرجع السابق ، ص ١٨ .
(٣) المرجع السابق ، ص ١٨ . (٤) ابن الأثير : المثل السائر، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
(٥) المرجع السابق ، ص ٢٤٠ .